ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر القحط وعام الرمادة

في سنة ثمان عشرة أصاب[1] الناس مجاعة شديدة، وجدب وقحط، وهو عام الرمادة، وكانت الريح تسفي تراباً كالرمادة فسمي عام الرمادة، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها. وفيه أيضاً كان طاعون/ عمواس. ج٢/٣٨٤/ط

وفيه ورد كتاب أبي عبيدة على عمر [يذكر فيه] أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار، وأبو جندل، فسألناهم فتأولوا، وقالوا: خيرنا فاخترنا. قال: فهل أنتم منتهون؟ ولم يعزم، [علينا] فكتب إليه عمر: إنما معناه، فانتهوا، وقال له: ادعهم على رؤوس الناس وسلهم أحلال الخمر أم حرام؟ فإن قالوا: حرام، فاجلدهم ثمانين ثمانين، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فسألهم فقالوا: بل حرام، فجلدهم، وندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث، فحدث عام الرمادة[1].

وأقسم عمر أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس. فقدمت السوق عكة سمن ووطب[2]/ من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهماً، ثم أتى عمر فقال: ج٢/٨٣/أ يا أمير المؤمنين، قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً.

فقال عمر: أغليت بهما فتصدق بهما فإني أكره أن آكل إسرافاً. وقال: كيف يعنيني

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ٩٦، ٩٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٩٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٤/ ٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) وطب: الوطب وعاء من جلد الجزع.

---

(1) في المخطوطة: أصابت.

شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم![١].

وكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن[1] حول المدينة، فقسمها [فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم فقال: لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين، إنما أردت الله وما قبله فلا تدخل على الدنيا. فقال: خذها، فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه. فأبى وكرر ذلك مراراً، فقبل أبو عبيدة] وانصرف إلى عمله، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز[٢].

وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم، [2]وأرسل[2] فيه الطعام إلى المدينة فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر، ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها، حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان، فذلوا وتقاصروا، وكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار[٣].

فقال أهل بيتٍ من مزينة لصاحبهم، وهو بلال بن الحارث: قد هلكنا فاذبح لنا شاة. قال: ليس فيهن شيء. فلم يزالوا به حتى ذبح/ فسلخ عن عظم أحمر، فنادى: يا محمداه! فأري [في المنام] أن رسول الله ﷺ، أتاه فقال: أبشر بالحياة، [ائت عمر] فأقرأه مني السلام وقل له: إني عهدتك وأنت وفيّ العهد شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه: استأذن لرسول الله ﷺ، فأتى عمر فأخبره، ففزع وقال: رأيت به مساً؟ قال: لا، قال: فأدخله [فدخل [3]وأخبره[3] الخبر، فخرج فنادى[4] في الناس وصعد المنبر فقال: نشدتكم الله الذي هداكم[5] هل رأيتم [مني] شيئاً تكرهونه[6]؟ قالوا: اللّهم لا، ولم ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفطن عمر، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء، فاستسق بنا. فنادى في الناس، [7]وخرج[7] معه العباس ماشياً، فخطب وأوجز وصلى، ثم جثا لركبتيه وقال: اللّهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز[8] [عنا] حولنا وقوتنا،

ج٢/٣٨٥/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ٩٧، ٩٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٤/ ٢٥٠)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ٥٣٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٩٧).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ١٠٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ١٦٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٤/ ٢٥١، ٢٥٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٩٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ١٠٠)، وذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣١٠).

(1) في المخطوطة: في.
(2-2) في المخطوطة: فأرسل.
(3-3) في المخطوطة: فأخبره.
(4) في المخطوطة: ونادى.
(5) في المخطوطة: هداكم للإسلام.
(6) في المخطوطة: تكرهون.
(7-7) في المخطوطة: فخرج.
(8) في المخطوطة: عجزت.

وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللَّهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد[١]!.

وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وإن دموع العباس لتتحادر على لحيته، فقال: اللَّهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ﷺ، وبقية آبائه وأكبر رجاله، فإنك تقول وقولك الحق ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾[٢] فحفظتهما بصلاح آبائهما، فاحفظ اللَّهم نبيك [ﷺ]، في عمه، فقد دلونا به إليك مستشفعين[1] مستغفرين. ثم أقبل على الناس فقال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً.

وكان العباس قد طال عمره، وعيناه تذرفان، ولحيته تجول على صدره، وهو يقول: اللَّهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعةٍ، فقد صرخ الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللَّهم فأغنهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس إلا القوم الكافرون.

فنشأت طريرة من سحاب، فقال الناس: ترون ترون! ثم التأمت[2] ومشت فيها ريح[3]، ثم هدأت[4] ودرت، فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين! فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعَمّي سقَى الله الحِجازَ وَأهلَهُ ... عَشيّة يَستَسقى بشَيبَتِهِ عُمَرْ
تَوَجّه بالعبّاس في الجدبِ رَاغباً ... إليه فما إن رَامَ حتى أتى المطَرْ
وَمنّا رَسولُ الله فينا تُراثُهُ ... فَهَلْ فوْقَ هذا للمُفاخرِ مُفتَخَرْ[٣]

ذكر طاعون عمواس

في هذه السنة كان طاعون عمواس بالشام، فمات فيه أبو عبيدة بن الجراح، وهو أمير الناس،/ ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وعامر بن غيلان الثقفي، مات وأبوه حيّ، وتفانى الناس منه. ج٢/٣٨٦/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ١٠٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٩٧).
(٢) سورة: الكهف، الآية: ٨٢.
(٣) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٩/ ٣٥٣).

(1) في المخطوطة: مستشفعين و.
(2) في المخطوطة: تلامس.
(3) في المخطوطة: الريح.
(4) في المخطوطة: هدت.

قال طارق بن شهاب: أتينا أبا موسى في داره بالكوفة نتحدث عنده [فلما جلسنا] فقال: لا عليكم أن تخفقوا، فقد أصيب في الدار إنسان، [بهذا السقم] ولا عليكم أن تنزعوا من هذه القرية، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع هذا الوباء، وسأخبركم بما يكره ويتقى، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، ويظن من أقام فأصابه [ذلك أنه] لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن المسلم هذا فلا عليه أن يخرج، إني كنت مع أبي عبيدة بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوجع، وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد، فقد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل [إليّ].

فعرف أبو عبيدة ما أراد، فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، قد عرفت حاجتك إليّ، وإني في جندٍ من المسلمين لا أجد بنفسي رغبةً عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه[1]، فحللني من عزيمتك.

ج٢/٨٣/ب فلما/ قرأ[2] عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أمات[3] أبو عبيدة؟ فقال: لا، وكأن قد.

وكتب إليه عمر ليرفعن[4] بالمسلمين من تلك الأرض، فدعا أبا موسى فقال له: ارتد للمسلمين منزلاً. قال: فرجعت إلى منزلي لأرتحل، فوجدت صاحبتي قد أصيبت. فرجعت إليه فقلت له: والله لقد كان في أهلي حدث. فقال: لعل صاحبتك أصيبت؟ قلت: نعم. قال: فأمر ببعيره فرحل له. فلما وضع رجله في غرزه طعن، فقال: والله لقد أصبتُ! ثم سار بالناس حتى نزل الجابية.

وكان أبو عبيدة قد قام في الناس [خطيباً] فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة سأل الله أن يقسم له منه حظه، فطعن فمات.

واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ حظهم. فطعن ابنه عبد الرحمٰن فمات، ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته، فلقد

(1) في المخطوطة: قضاة.
(2) في المخطوطة: فلما.
(3) في المخطوطة: مات.
(4) في المخطوطة: ليرتفع.

كان يقبلها ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا. فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص [فقام خطيباً في الناس فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتجبلوا منه في الجبال. فقال أبو وائلة الهذلي: كذبت، والله لقد صحبت رسول الله ﷺ، وأنت شر من حماري هذا. قال: والله ما أرد عليك ما تقول، وأيم الله لا نقيم عليه]. فخرج/ بالناس إلى الجبال، ورفعه الله عنهم، فلم يكره عمر ذلك من عمرو[1]. ج٢/٣٨٧ط

وقد قيل: إن عمر بن الخطاب قدم الشام، فلما كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، فيهم أبو عبيدة بن الجراح، فأخبروه بالوباء وشدته، وكان معه المهاجرون والأنصار، خرج غازياً، فجمع المهاجرين الأولين [والأنصار] فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل: خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا، ومنهم القائل: إنه بلاء وفناء، فلا نرى أن تقدم عليه.

فقال لهم: قوموا [عني]، ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش، فاستشارهم، فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر. فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمٰن بن عوف، فقال: إن النبي ﷺ، قال: «**إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه**» فانصرف عمر بالناس إلى المدينة.

وهذه الرواية أصح، فإن البخاري ومسلماً أخرجاها في صحيحيهما؛ ولأن أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام، لكن هكذا ذكره، وإنما أوردناه لننبه عليه.

عمواس: بفتح العين المهملة، والميم والواو، وبعد الألف سين مهملة. **وسرغ**: بفتح السين المهملة، وسكون الراء المهملة، وآخره غين معجمة.

ومعنى قوله: دعوة نبيكم، حين جاءه جبريل، فقال: فناء أمتك بالطعن أو الطاعون، فقال رسول الله ﷺ: «**فبالطاعون**»، ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها، واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ٦٠ ـ ٦٢).

الأردن وخراجها.

وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط، وطمع له العدو في المسلمين لطول مكثه، مكث شهوراً، وأصاب الناس بالبصرة مثله، وكان عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفاً/ . ج٢/٣٨٨/ط

ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون

لما هلك الناس في الطاعون كتب أمراء الأجناد إلى عمر بما في أيديهم من المواريث، فجمع الناس واستشارهم وقال لهم: قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم، فأشيروا عليّ، وفي القوم كعب الأحبار، وفي تلك السنة أسلم، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، بأيها تريد أن تبدأ؟ قال: بالعراق.

قال: فلا تفعل فإن الشرّ عشرة أجزاء، تسعة منها بالمشرق وجزء بالمغرب، والخير عشرة أجزاء، تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق، وبها قرن الشيطان وكل داء عضال. فقال عليّ: يا أمير المؤمنين، إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنها لقبة الإسلام، ليأتينها يوم لا يبقى مسلم[1] إلا وحنّ إليها، لينتصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط. فقال عمر: إن مواريث أهل عمواس قد ضاعت، فأبدأ بالشام فأقسم المواريث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثم أرجع فأتقلب في البلاد، وأبدي إليهم أمري[1].

فسار عن المدينة، واستخلف عليها عليّ بن أبي طالب، واتخذ أيلة طريقاً، فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب، وأعطى غلامه مركبه، فلما تلقاه الناس قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم، يعني نفسه، فساروا أمامهم وانتهى هو إلى أيلة فنزلها/ ، وقيل للمتلقين: قد دخل أمير المؤمنين إليها ونزلها، فرجعوا [إليه]. وأعطى عمر الأسقف بها قميصه، وقد تخرق ظهره، ليغسله ويرقعه، ففعل، وأخذه ولبسه، وخاط له الأسقف قميصاً غيره[2] فلم يأخذه. ج٢/٨٤/١

فلما قدم الشام قسم الأرزاق، وسمي الشواتي والصوائف، وسد فروج الشام

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/٥٨، ٥٩).

(1) في المخطوطة: مؤمن.
(2) في المخطوطة: غيره آخر من.

ومسالحها، وأخذ يدورها، واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة، واستعمل معاوية، وعزل شرحبيل بن حسنة وقام بعذره في الناس، وقال: إني لم أعزله عن سخطة، ولكني[1] أريد رجلاً أقوى من رجل. واستعمل عمرو بن عتبة على الأهراء، وقسم مواريث أهل عمواس، فورث بعض الورثة من بعض، وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم.

وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته، فلم يرجع منهم إلا أربعة. ورجع عمر إلى المدينة في ذي القعدة[1]/. ج٢/٣٨٩/ط

ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس: لو أمرت بلالاً فأذن، فأمره فأذن، فما بقي أحد [كان] أدرك النبي ﷺ، وبلال يؤذن [له] إلا وبكى حتى بلَّ لحيته، وعمر أشدهم بكاءً، وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله ﷺ[2].

قال الواقدي: إن الرها، وحرّان، والرّقة[2] فتحت هذه السنة على يد عياض بن غنم، وإن عين الوردة، وهي رأس عين، فتحت فيها على يد عمير بن سعد، وقد تقدم شرح فتحها.

وفي هذه السنة في ذي الحجة حول عمر المقام[3] إلى موضعه اليوم، وكان ملصقاً بالبيت.

وفيها استقضى عمر شريح بن الحارث الكندي على الكوفة، وعلى البصرة كعب بن سور الأزدي.

وكانت الولاة على الأمصار الولاة [الذين كانوا عليها] في السنة قبلها. وحج بالناس [في هذه السنة] عمر بن الخطاب.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ٦٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ٦٦)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٩/ ٣٦٣).

---

(1) في المخطوطة: لكن.

(2) في المخطوطة: ورقه.

(3) في المخطوطة: لمقام.